

حجاجة الخطاب عند كريستيان بلانتان (Christian Plantin) L'argumentatif of the speech by Christian Plantin

د. تركي أمحمد*

جامعة ابن خلدون - تيارت (الجزائر)

Turki.argument@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/09/01

تاريخ القبول: 2020/05/25

تاريخ الإرسال: 2020/04/29

ملخص: يُحاول هذا المقال البحث في ماهية الحجاج عند العالم اللساني "كريستيان بلانتان"، وهو المهتم بدراسة علوم اللغة وتفاعلاتها في العملية التواصلية، والكشف عن طرق الأداء اللغوي الصحيح في إنجاح التواصل، القائم بين طرفيه (الباث والمتلقي)، ولما كان الأمر واقعا على الخطاب وطرق بنائه عمد "كريستيان بلانتان"، إلى تتبع طرق إيراد الكلام وإستراتيجيات بنائه في بعض الخطابات التواصلية، مُحدداً على غرار الدارسين والباحثين والمتتبعين له أن الحجاج أنواع كثيرة توجد في الخطاب وتحدد على حسب نوعية هذا الخطاب، فقد يكون فكرياً وقد يأتي لغوياً، ثم يتفرع في حقول البحث اللغوي ليُلامس الحقل البلاغي والجمالي والنفسي أيضاً.
الكلمات المفتاحية: الحجاج، الحوارية الجديدة، كريستيان بلانتان، الخطاب، التأويل.

Abstracat: This article attempts to research the nature of L'argumentation in the linguist "Christian Plantin", who is interested in the study of language sciences and their interactions in the communication process, and to reveal ways to correct linguistic performance in the success of the communication, which exists between the two parts (the transmitter and the receiver), and when the question is located on the speech and the ways Its construction was wanted by "Christian Plantin", to follow the ways of rendering account of the discourse and the strategies for its construction in certain communicative discourses, specifying like the scholars and researchers and those who follow it that pilgrims are many types found in the discourse and are determined according to the type of this discourse, it can be intellectual and can come linguistically, then branch out into Fields of research The linguistic and rhetorical domain of esthétique et psychologi that also to the touch.

Key words: Semiotics, Arabic, Speaking, Nations, Coercion, Human, Arabic Semiotics, coherence, patterns, perspectives; nature of education, knowledge, group language.

01- مفاهيم الحجاج في الخطاب التواصلية:

عكف الباحث الفرنسي "كريستيان بلانتان" على قراءات السابقين للنظرية الحجاجية، وانطلق منها مجدداً ومكتشفاً أنها لاقت اختلافاً وتبايناً من ناحيتين إثنين أولاهما: أن هذه النظرية وفي طابعها العام خدمةً للدعاية والأحداث السياسية التي شهدتها العالم في ظل انفجار الحروب وبروز الأنظمة المتعددة التي تؤمن بالحجة والدليل، والأخرى تعنى بدراسة سنن القول المتاحة في الخطابات القضائية التي يجنح أصحابها إلى البحث في "الفكر الحجاجي عن وسيلة لتأسيس عقلانية خصوصية متوفرة في الأمور البشرية"¹. فهذا

الحجاج أو ما سمّاه بالحواريّة الجديدة الموجودة في كتابات ودراسات "شايم بيرلمان" و"تولمين" المختلفة من جهة والمتفّقة في جهات أخرى **، هي ما مكّنت أصحاب السياسة والقضاء من التّفاوض والآخرين في إطار فكريّ واسع بمجريات الخطاب والتّواصل، وطرق تصريفه للغير بطريقة تعتمد الإقناع والبرهنة عن كلّ السلوكات والقضايا المطروحة.

إنطلق (بلانتان) في كتابه الحجاج (l'argumentation) من النّموذج الكلاسيكيّ للمصطلحات البارزة المميّلة للخطاب منذ مرحلة التّفكير إلى مرحلة التّوصيل والإبلاغ، وهي مصطلحات كانت مدار دراسة وانشغال قبله؛ كالمنطق الذي اعتبره فنّاً للتّفكير بدقّة، والبلاغة فنّاً للتحدّث بشكل جيد، والجدل فن الحوار الجيّد². فأبّ خطاب يعتمد الحجّة لا يخلو مما ذكر "بلانتان" وذلك منذ أرسطو إلى الآن، فكان لا بدّ لدارس هذا النّوع من الخطابات فهم هذه الأساسيات ليتوغّل إلى قراءة الحجاج ومفهومه، ما جعلنا نعتقد أنّ (بلانتان) درس المصطلح بوعيّ نقديّ جمع فيه بين ما توصّل إليه صاحباً "مصنّف في الحجاج"، والآخر صاحب كتاب "استعمالات الحجّة". ولذلك تنوّعت تعريفات الحجاج-عنده- وتعدّدت أنواعه فهو:

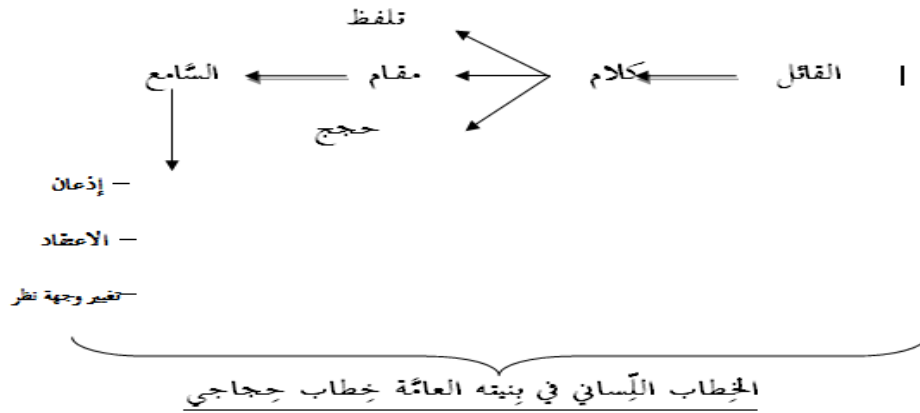
- ممارسة فكريّة: يشير "بلانتان" في دراسته حول الحجاج بأنّه عمليّة فكريّة نابعة من ذات تسعى لإخراج هذا الفكر وتوصيله للآخر عبر مواهب فنيّة وتقنيّة هدفها إحداث التغيّر وإخضاع الآخر (خصم، صديق...)، بحجج وبراهين قاطعة، وهذا ما عبّر عنه حرفياً بقوله:

"Argumentation a d'abord été pensée comme composant des systèmes rhétorique et dialectique, ensemble disciplinaire dont la destruction logiques, a été parachevée à la fin du XIX^e siècle".³

- الحجاج نشاط لغويّ: فالفكريّ لا يكون إلّا إذا مرّ على مضمار اللّغة أيّ الفكرة المنبثقة واللّغة التي تُبلّغ بها هذه الأخيرة، ولولا اللّغة لما قام الحجاج، فهو لغويّ لأنّ صاحبه يمارس تعبيراً بلغة ما سواء كانت شفويّة أو مكتوبة، وعليه أن يترك بصمته في هذا الخطاب لا ليقلّ كتّب، وإنّما برهن وعلّل بمهارة، فالإقبال على درس الحجاج مجازفة إن لم يكن للباحث باع في علوم اللّغة، وقد يتجاوزها إلى الفلسفة فينظر لهذا الخطاب الحجاجيّ "من زاوية المنطق (الصّوري أو غير الصّوري) والعلوم العرفانيّة"⁴.

- الحجاج خطاب لسانيّ: في هذه القضية نجد "بلانتان" يعود للدّرس السويسريّ، ويمتدّ من ثنائياته (لغة وكلام، اللّسان واللّغة، اللّسان والكلام...)، إذ البحث عن الحجاج ينتمي إلى لسانيّة اللّسان بالمعنى السويسريّ للفظ. إذا اعتبرنا الحجاج خلافاً لهذا ظاهرة خطابيّة تنتمي إلى ممارسة اللّغة في مقام أمكن الاختيار بين أمرين: [أولهما] كلّ كلام حجاجيّ حتماً، فهو نتيجة ملموسة للتلفّظ في مقام: وكلّ ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه، في الآخر، وتبديل نسق فكره. وكلّ ملفوظ يجبر أو يحمل الآخر على الاعتقاد وعلى النظر وعلى الفعل بطريقة غير طريقتيه. ودراسة الحجاج هي دراسة نفسيّة لسانية أو اجتماعيّة لسانية. [وآخرهما] بعض الخطابات فقط حجاجيّة، وينبغي البحث عن الحجاجيّة في طريقة تنظيم الخطابات⁵. فمن كلام كريستيان المترجم نلمح تعريفاً آخر للحجاج إذ هو حمل المستمع على قبول ملفوظ في سلطة كلاميّة صحيحة ومقام توجيبي مدعّم بحجج لا نقول حقيقية

وإنما مقبولة لدى الطرف الآخر، وهذا الموقف هو موقف النظريات الكلاسيكية للحجاج البلاغي". كما هي مبيّنة في الخطاطة:



فكلام (بلانتان) الأول صحيح إذا ما تتبعنا حركية هذا الخطاب من أول ولادة له (ملفوظ) إلى وصوله (طرق التلّفظ) للسامع الذي يطبق عليه إجراء المخاطبة للتسليم أو الرّفص، وبلانتان في كلامه هذا يحمل فكرة فرديناند دي سوسير (F.de-Saussure) لكلّ دالٍ مدلولٍ يعبر عنه، إلّا أنّنا نجد في الرّأي الثّاني تناقضاً يتنافى مع الأول، فإن نجح الفعل الكلامي بين الطرفين، ينبغي أن يكون كلّ كلام حجاجي بدوره ودون استثناء، لتكون دراسة الحجاج لسانية اجتماعية مهتمة بالأثر النفسي الذي يتركه المخاطب في مخاطبه⁶، لكنّ السؤال الذي نطرحه على "بلانتان" وإن لم يحظّ الخطاب بالقبول لدى السّامع فهل يكون هذا الخطاب حجاجياً؟ وكيف تُحدّد حجاجيّة الخطاب؟

02- حجاجيّة اللّسان أم حجاجيّة الكلام:

ما زالت قضية اللّسان والكلام مهيمنة على السّاحة اللّغوية، ومع احتدام الأوضاع وتمايز الأشكال اللّغوية، ونماء خطابات مختلفة مفعمة بالمساومات والمفاوضات الكلاميّة أصبح الرّجوع إلى دراسة هذه القضية من باب أولى وأحرى، وهي قضية ترعرعت في كنف المشروع اللّغوي السّويسري كما هو معلوم، وامتدت إلى أنصار البلاغة المعاصرة وبالتّحديد عند (بلانتان) الذي كشف عن دوري اللّسان والكلام في إخراج الخطاب الحجاجي⁷، باعتبار أنّ اللّسان هو نظام مجرد به يكون التّواصل اللّغوي بين الأفراد، فهو ضروري إذا ما رعيينا مسألة فهم القول الذي يدخل الحجاج في صناعته⁸، فالمتكلّم يسعى جاهدا لتوظيف كلّ الأساليب والتّعابير المستقاة من لغته؛ إذ يحاول فيها هزّ كيانه متلقيه، من خلال نشاطه الفردي اللّغوي وإن اختلفت طرق القول.

هنا نجد -ونحن نوافق ما رآه "كريستيان بلانتان"- "أنّ القدرة الحجاجية فعلٌ في اللّسان، أمّا الإجراء الحجاجي فهو في الكلام"⁹، وبمعنى آخر إنّ المخاطب يُخاطب سامعه بلغته المتداولة بينهم، بشكلها وقواعدها المعهودة، أمّا طريقة التأثير فتكون في مدى تحكّم المخاطب في تراكيبه اللّغوية المؤدّية إلى إبلاغ الرّسالة، وما يجب أن يكون عليه الدّالّ أو الملفوظ وفقاً للسياق المطروح فيه.

- الحجاج قاسم مشترك في كلّ الخطابات المعتمدة على الحوار بنوعيه سواء ما تعلّق بالذات (Monologues)، أو بالجماعة في عملية التّواصل، فدراسة الحجاج لا تقتصر على أقوال المخاطب فحسب بل تركّز على دراسة المقام أو الصّيغ المتداولة أثناء المحادثة. هنا يتقاطع كريستيان وباختين^{***} إذ اهتمّ كلّ منهما بالحواريّة (dialogism) أو بما يمكن أن يُؤدّيه الحوار من وظيفة في الخطاب والنّصّ معاً¹⁰، وعلى هذا التّفاوض الكلامي، والتّفاعل التّخاطبيّ تتوطّد العلاقة بين المتحدّثين وتقوى شرارة الخطاب وينفتح على التّأويل الذي يزيد من امتداد المعاني وتوسيع الدّلالات. ومن هذا التّداول الثّنائي تتحدّد درجة الحجاج وقوته.
- دراسة الحجاج غير معيارية و معيارية (كلام من كلام):

يرى "بلانتان" أنّ للمقاربة المعيارية فائدة كبيرة، وهي مقارنة تستند على المفارقة والتّمييز بين أنواع الحجاجات في طابعها العامّ وهي عنده نوعان¹¹:

– (Argumentative de bonne)

– (Argumentative de mauvaises)

ولكلّ واحد منها معايير، إذ المطلوب فيها الفعالية (l'efficacité) التي تبدو صورتها بعد الإجراء التّلفظي (énoncé procédure) المُجسّد على خريطة الواقع، فحمل المتلقّي على فعل شيء حسن من أولى أولويات هذا المعيار" سواء تعلّق الأمر بالحمل على حسن التّصويت أو حسن التّفضيل أو الاشتراء على صواب. ولنشر أنّ الأمر يتعلّق بالحمل على الفعل لا بالحمل على الاعتقاد، فمقولات العمل على الإقناع أو الصّدق أو الاعتقاد أو الاقتناع هي هنا خاضعة لإشكاليات الفعل¹². فكلّ هذه اللّبنات التكوينية التي ذكرها "بلانتان" هي سبب في ضمان معيار الفعالية أو النّجوع لأيّ خطاب حجاجي سليم مستند على مرجعيات فكرية صائبة، إذ هدفها واحد هي الوصول بالمتلقّي إلى الإذعان والتّسليم للقضيّة محلّ النّقاش، وهو ما نلاحظه في الخطابات السّياسية، وفي عروض البيع، والتّرويج للسلع والمبيعات.

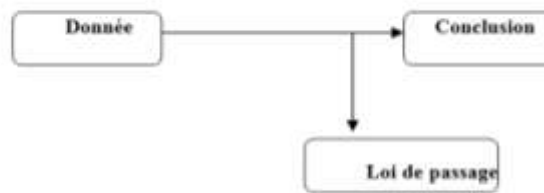
إلّا أنّ هذا المعيار يتواشج مع معيار آخر هو معيار الصّدق (La vérité)، الذي يضمن حقيقة الأشياء، وإن كانت الحقيقة بعيدة في الخطاب الحجاجي لأنّه خطابٌ مبنيّ أساساً على قضيتي الاحتمال والتّقريب والنّسبية¹³، ونتائج معقولة أو احتمالية أو متوقعة لكنها تبقى نسبية، وفي هذا الخطاب لا نجرؤ على تكذيب واحد من المتناحرين، هنا نخالف (بلانتان) في قوله حسب ما ترجمه العالم التونسيّ والمترجم عبد القادر المهيري رحمه الله بقوله: "يضمن الحجاج المحافظة على الصّدق واكتشافه. وهذا هو الميدان الواسع للحجاج في العلوم. يمكن أن يُعتبر المرء معيار الصّدق معياراً مطلقاً ويحاول أن يُخضع له كلّ الحجاجات المشتركة"¹⁴، فإذا نظرنا إلى الملفوظ الذي يراد به الحجّة نجد أنّه لا يتعدّى أن يكون فعلاً إنجازياً على وجه الإلزام، وإذا أخذنا شريطة الصّدق كمعيار، وجب علينا أن نعيد النّظر في معياري الحقّ والخير الذين كانا يعوّل عليهما في بناء الحجاج.

• الججاج إجماع حول اختلاف:

يدخل الججاج ضمن التقنيات الأساسية في التواصل اللغوي، ولذلك يتسم بمظهرين أساسيين أولهما الإجماع (Consensus)¹⁵؛ هنا يتفق كلُّ من المحاجُّ والمحجوج (السَّامع) على صواب قضية وقد وصلا إلى التسليم بصحتها ففهم كلُّ منهما الآخر، وتواصلت سيرورة الخطاب بينهما، تماما مثلما يحدث في المحاكم إذ يجنح القضاة عادة إلى توسيع حلقة التفاهم عن طريق الكلام بالرد والقبول، فيكون الججاج أداة لتسوية النزاعات الحاصلة حول قضية ما.

وللعلملة وجه آخر يأخذ مظهر العكسية المتمثلة في الاختلاف (La différence) فقد يُبنى الخطاب مثلا على قضية تعارضت حولها الآراء وأدلى كلُّ واحد فيها بدلوه، وهذا الاختلاف لا ينقص من قيمة الخطاب إذ الخطاب الذي تكثر سبل الاعتراض حوله هو خطاب مفعم بحمولات ججاجية هي مدار دراسة الججاج الذي يُفعل الخلافات ويعمِّقها، ليبقى الاختلاف و"التنافر شرط لتجديد الفكر"¹⁶، ولولاهما ماكان الججاج، وعليه يتسنى القول: "لا ججاج من دون اختلاف ولا اختلاف من دون ججاج" لكن أيّ خلاف نقصد؟ هو الخلاف الإيجابي المدعّم بالدليل الذي يطلبه كلا المتحاورين للوصول إلى غاية.

يقوى الخطاب المتنازع حوله بهذه الحجج والبراهين المتنوعة بين القبول والرفض، ليسعى كلُّ واحد منهم إلى تبرير الرأي ومقارعة الخصم به، إذ لا ينكفى هذا الخطاب على عنصري الإفهام والتبليغ كما كان متداولاً في التراث ومجسّداً في فنّ البلاغة مثلا، بل يضيف لهما عنصريين آخرين هما: العرض (العارض) والاعتراض (المعترض)¹⁷ وما يجري بينهما من مساومات كلامية (Question)، هذا الثالوث الججاجي¹⁸ الذي ركّز عليه "بلانتان" وهو يرصد العملية التخاطبية من نشأتها الأولى كملفوظ (énoncé) إلى بلوغها كفعل (acte) معتبراً أنّ لكلّ مُعطى (donnée) قانون عبور (Loi de passage) ونتيجة (Conclusion)، فطبيعة هذا الكلام منطقية ومقبولة مالم ينقصها طرف من هذه الأطراف وكلُّ فيها أساسي لا يمكننا الاستغناء عنه. إنّنا الآن أمام خُطاطة ججاجية (Schéma argumentatif)¹⁹ متواصلة هي كالآتي:



خاتمة:

وسّع العالم اللغوي "كريستيان بلانتان" دائرة الججاج وطرق حضوره في الخطابات، فقد عالجه وفق نظرية لسانية قد تكون في أحيان كثيرة نفسية، يُراعي فيها الطرف الآخر وأهميته في بناء الفهم وتوليد الدلالة، وهذا لم يكن ليحدث لولا قوة الباتّ التخاطبية العالية في بثّ الحجج وسيطرته على تحقيق الهدف منها؛ وعليه يكون الخطاب نشاطاً ججاجياً تفاعلياً يُبنى على الدّحض كما يقوم على التّفنيد، والغلبة فيه للمؤثر الذي يُحسن صناعة حججه، مستغلاً المقام الذي يضمن له تأثر الخصم وإذعانه. كما يشير العالم

اللُّغَوِيَّ "كْرِيسْتِيَانِ بِلَانْتَان" أَنَّ الْإِخْتِلَافَ فِي الْآرَاءِ لَا يَفْسِدُ لِلوَدِّ قَضِيَّةً، فَالْإِخْتِلَافُ يَصْنَعُ عَوَالِمَ أُخْرَى لَمْ يَكُنْ لِلطَّرْفِ الْآخَرِ رُؤْيَيْهَا لَوْلَا هَذَا الْوَسْطُ التَّحَاوُرِيَّ.

هوامش البحث:

- ¹ - VOIR: Christian Plantin. *L'ARGUMENTATION*. SEUIL, Paris, 1996.p: 08 Comme en voir oussi Traduction Aek Al Muhairi.p: 21.
- ^{**} - يتكلم عبد الرزاق بنور عن هذه القضية في كتابه "جدل الخطابة والحجاج". الدار العربية للكتاب، تونس؛ 2008م، ص: 77.
- ² - voir: Logique = « art de penser correctement », rhétorique = « art de bien parler », dialectique = « art de bien dialoguer ». Christian Plantin. *L'ARGUMENTATION*. SEUIL, Paris, 1996.p: 04.
- ³ - Christian Plantin. *L'ARGUMENTATION* .p: 04
- ⁴ - ينظر: الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة مقالات اللغويين، تونس؛ 2010م، ص: 33.
- ⁵ - المحاضرة الخامسة في تحليل الخطاب - البلاغة- الحجاج ما العلاقة بين هذه المباحث وما مدى تأثير كل منهما في الآخر. جمال مقابلة، الجامعة الهاشمية؛ 2013م، ص: 161.
- ⁶ - الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. ص: 34. كما ينظر: المحاضرة الخامسة في تحليل الخطاب - البلاغة- الحجاج ما العلاقة بين هذه المباحث وما مدى تأثير كل منهما في الآخر. جمال مقابلة، ص: 161.
- ⁷ - الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. ص: 34، 35.
- ⁸ - نفس المرجع، ص: 34، 35.
- ⁹ - هذا ما يتفرّد به كريستيان عن غيره في هذا الكتاب المعنون بالحجاج، وإن كنّا لا نلمس فيه جديدا فهو قراءة لما توصل إليه ممارسو البلاغة في عصره يقول مدعّمًا فكرته هذه والنّص أصلي:
- "L'argumentation n'est pas une méthode de régulation rationnelle des différences d'intérêts, d'appréciation ; elle dans la langue pas dans la parole en circulation" (p.16).
- ^{***} - ميخائيل باختين وفيلسوف ولغوي روسي من مواليد (1895. 1975م)، له مجموعة من المؤلفات نكتفي بذكر الأهم منها: شعريّة دستويشسكي ، الماركسية وفلسفة اللغة/ Marxisme and the Philosophy of Language (1929م).
- ¹⁰ - فالخطاب أقرب للحواريّة منه إلى النّص، فإذا ما عدنا لتبّع مصطلح الخطاب/ Discours نجد أنّه مشتق من الأصل اللاتيني Discoursus أو Discourere، وتعني في اللاتينية الحوار : ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو. الزواوي بغورة. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص: 40.
- كما نعوّل على هذا المفهوم في فهم التداخل الحاصل بين النّص والخطاب، فهناك من الدّارسين من ربط بين الخطاب والحوار، صرفا على النّقاط الأخرى التي تحدّد الغموض البادي على دلّاهما. وللاستزادة أكثر: ينظر بحثنا المعنون بـ: "قوى الخطاب والمعنى من هيمنة المبدع إلى رؤى الآخر قراءة تأويلية في شعر سميح القاسم". ضمن أعمال الملتقى النّقديّ الرابع (أفق الخطابات بين التّحليل السيميائيّ والتّأويل اللّسانيّ) لسنة 2014م، المنظّم بكلية اللّغات والآداب جامعة وهران. ص: 121.
- ¹¹ - voir: Christian Plantin. *L'argumentation*.p: 19.
- كما ينظر: الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. ص: 34، 35.
- ¹² - الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. ص: 35.
- ¹³ - نفس المرجع، ص: 35.
- ¹⁴ - نفسه، ص: 35.
- ¹⁵ - نفسه، ص: 35.
- ¹⁶ - نفسه، ص: 36.
- ¹⁷ - ينظر: كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. ص: 48.
- ¹⁸ - تكلم كريستيان بلانتان في بحوث عديدة حول ما أسماه بالثالوث الحجاجي (Le trilogie argumentatif).
- ¹⁹ - voir: Christian Plantin. *L'argumentation*.p: 23.

المصادر والمراجع:

1. الحجاج. كريستيان بلانتان. تر: عبد القادر المهيري ومراجعة: عبد الله صولة. منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ، سلسلة مقالات اللغويين، تونس: 2010م.
2. عبد الرزاق بنور عن هذه القضية في كتابه "جدل الخطابة والحجاج". الدار العربية للكتاب، تونس: 2008م.
3. مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو. الزواوي بغورة. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ، 2000م.

المجلات:

- "قوى الخطاب والمعنى من هيمنة المبدع إلى رؤى الآخر قراءة تأويلية في شعر سميح القاسم". تركي امحمد. مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، المجلد الخامس، العدد 01، ، 2015.
- المراجع الأجنبية:

- Christian Plantin. L'ARGUMENTATION. SEUIL, Paris, 1996.